عن مبدأ احترام الاقلية للأغلبية وما يستتبعه من ردود فعل؛ تأثيرات بقايا العوامل التقليدية المختلفة، كالولاء على أسس بلدية أو جهوية أو عشائرية. هذه الظواهر السلبية كلها يمكن ان توجد في أي حركة أو كيان وان تؤثر سلباً على ممارسته الديمقراطية بمقدار أو بآخر. ولكنها تصبح في الساحة الفلسطينية أشدّ فتكاً حين يجد اصحابها الحماية في المحيط العربي الذي يستغلهم لأغراضه الخاصة. وقد دفع الشعب الفلسطيني أثماناً باهظة نتيجة استفحال هذه الظواهر واستثمار المتدخلين في الشأن الفلسطيني لها. ولن نبالغ لو قلنا ان خطر هذه الظواهر أدّى الى تبديد جزء كبير من الطاقات الفلسطينية، سواء ما بدد من الطاقات نتيجة التخريب، أو ما استهلك منها في مقاومته.

لكن، ومهما يكن من أمر، فان السلبيات داخل الساحة الفلسطينية، مع الاقرار بضخامة بعضها واستفحال مخاطره، لا تبقى بدون مقاومة. وقد توفّرت لهذه الساحة، عبر تجربتها الطويلة الراسخة والشاقة، تقاليد تبيح فرصاً طيبة للنضال الداخلي ضد السلبيات. والصراع، في هذا المجال، مفتوح، نشهد وقائعه في كل يوم، وفي كل مجال. وان وجود التقاليد الديمقراطية، وخصوصاً ان التشبث بالمنجزات الديمقراطية المكتسبة، هو الذي يشكّل الضمانة للأمل بأن السلبيات لا تكتسح الايجابيات.